بلاد الانكليز الا في ٩ سبتمبر . وموقعهُ يختلف قليلاً جداً عما دلَّ عليهِ حساب سيمون لتأثير السيارات فيهِ وسيصير على اقربهِ من الارض في التاسع عشر من شهر مايو المقبل ويكون بعدهُ عنها حينئذٍ ٤٠ مليون ميل ومن المحتمل ان الارض تمر حينئذٍ في ذنبهِ . وقد تهيأ علماء الفلك لرصدهِ في اماكن كثيرة ولا بدَّ من ان يكون لمرصد طوان ولمرصد المدرسة الكلية في بيروت شأن في ذلك وينتظر ان تجلى برصدهِ حقيقة ذوات الاذناب وغوامضها

المأسونية في البلاد العثمانية

من غرائب اطوار الانسان ان غرضهُ يعميهِ عن رؤية الحقائق ولو ظهرت امامهُ واضحة جسَّة . مثال ذلك اتهام بعض الناس للجمعيَّة المأسونية بانها جمعيَّة سياسيَّة معادية لكل سلطة مدنيَّة وهم يرون اعظم الملوك والوزراء ورجال السياسة من اعضائها . فكيف يتصوَّر عاقل ان تكون المأسونية معادية لكل سلطة مدنية وهؤلاء الرجال من اعضائها العاملين فيها المؤيدين لها وهم من دول مختلفة وامم متباينة . بل كيف يعقل ان يكون لهم غرض سياسي يجمعهم وهم مختلفون سياسة تمام الاختلاف . ولا ينكر ان المأسونية تسعى لتحرير الناس من قيود الجهل والظلم والاستبداد وهي الغاية التي تسعى اليها الآن كل الحكومات الحكيمة الرشيدة ولذلك لا تناقض بين مقاصدها ومقاصد الملوك والوزراء وسائر رجال السياسة فينتظمون في سلكها ويؤيدونها . وحسبك شاهداً ما فعلتهُ جمعية الاتحاد والترقي العثمانية واكثر اعضائها من الجمعية المأسونية المرتشدين بارشادها

ومن هذا القبيل اتهامهم المأسونية بانها معادية للاديان مع انهم يرون في سلكها عدداً كبيراً من رؤساء الاديان المختلفة فلو قالوا انها معادية للاوهام والخرافات لصدق قولهم لا لان المأسونية نفسها تهتم بنفي الاوهام والخرافات او تبحث في ذلك اقل بحث بل لان اعضاءها هم في الغالب من المتعلمين المتنورين الذين ارتفع عن عيونهم غشاء الجهل

وابلغ من ذلك ان رجال الدين المنتظمين في سلك المأسونية تابعون لاديان مختلفة فلو كان للمأسونية صبغة دينية كما يزعم اعداؤها لتعذَّر انتظام اولئك الرجال فيها على اختلاف اديانهم فانتظامهم فيها دليل على انها مثل سائر الجمعيات العلمية او الادبية او الخيرية او التجارية اعضاؤها مختلفو الاديان والمذاهب ولا يرون جناحاً عليهم لان تلك الجمعيات لا تتعرض لاديانهم ومذاهبهم

ومن الغريب ان اعداء الماسونية يتهمونها بانها معادية للاديان والماسون انفسهم يشكون من ان في رسومها كثيراً من الشعائر الدينية التي لا داعي لها في جمعية من نوعها و يطلبون ابطالها منها فيقولون مثلاً ان الجمعيات الجغرافية والفلكية والطبية والفسيولوجية واللغوية لا تبدأ اجتماعاتها ولا تختمها بطلب العون الالهي كما تفعل الجمعية الماسونية فلماذا لا تكون الجمعية الماسونية مثلها. ويقولون ان الجمعيات التي انشئت منذ مئة سنة او مئتي سنة او اكثر كانت جلساتها تبدأ وتختم بحمد الله وتمجيده واجرت الجمعية الماسونية مجراها ثم ابطلت تلك الجمعيات ما كانت جارية عليه فعلى الماسونية ان تجاريها في ذلك. وكذلك الكتب كانت تفتتح وتختتم بالحمدلله والتمجيد له ولو كان موضوعها اللغة او الطب او التاريخ او غير ذلك من المواضيع العالمية ثم عدل الناس عن هذه الطريقة رويداً رويداً فيجب على الماسونية ان تجري مجراهم وتقتصر على اشغالها الدنيوية التي انشئت لها. وسواء كانوا مصيبين في قولهم هذا او غير مصيبين فهو دليل قاطع على ان الجمعية الماسونية لا تناقض الاديان ولا ترمي الى غاية دينية

والذين يعرفون الجمعية الماسونية حق المعرفة يعلمون انها ليس لها غرض الا ان يساعد اعضاؤها بعضهم بعضاً في امورهم الزمنية وان يسعوا في كل ما يعلي شأن البشر وهم في ذلك مآثر كثيرة فقد انفقت المحافل الماسونية الانكليزية في العام الماضي ٥٢ الف جنيه على مساعدة الارامل والمحزونين و ٤٤ الف جنيه على تعليم البنات و ٣٦ الف جنيه على تعليم الصبيان

اما الاعتراض على الماسونية بان فيها اسراراً لا تفشيها فمن المضحكات ولاسيما عند الذين يعلمون اسرارها ويعلمون انها محصورة في اشارات يعلم الماسون بعضهم بعضاً بها وفي رموز تستعمل في كتبهم كالرموز التي يستعملها الرياضيون في كتب الجبر وقلما يتعذر فهمها على من يطلب ذلك

هذا ونحن العثمانيين مدينون للماسونية اكبر دين لانها هي التي بثت في نفوس اعضاء جمعية الاتحاد والترقي روح الحرية وبها اقتدروا في انشاء جمعيتهم التي فكت قيود الاستبداد. وقد اهتم جماعة من الماسون المصريين بانشاء تذكار لذلك فانشأوا محفلاً جديداً في القاهرة سموه محفل نازلي باسم بطل الحرية العثماني واحتفلوا بتثبيت موظفيه في التاسع من يناير الماضي فذهبوا الى فندق كنتيننتال لتناول العشاء وكانوا قد دعوا بعض اصدقائهم لتناول العشاء معهم فجلس عطوفة ادريس بك راغب الرئيس الاعظم للمحافل الماسونية المصرية في صدر المائدة والى يمينه حضرة نعوم بك شقير رئيس محفل نازلي ثم حضرة ستاك بك وكيل حكومة السودان ثم سائر اعضاء المحفل والمدعوين وكان بينهم حضرة القائمقام برتو بك من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي وهو قائد الاوردة التي في صنعاء وقد أرسل الآن لتنظيم

الجاندرمة في اليمين . وكانت المائدة مزدانة زينة بهية بالازهار والرياحين والانوار الكهربائية فأديرت الوان الطعام الفاخر وتداول الجلوس المسامرات الفكاهية ثم شربوا نخب الجناب العالي والحضرة السلطانية وجلالة ملك الانكليز رئيس المحافل الماسونية الانكليزية سابقاً ونخب رئيس المحفل الوطني المصري ورئيس محفل نيازي الحاضر نعوم بك شقير ورئيسه السابق سليم بك شكور . وارتجل الخطباء خطباً نفيسة بالعربية والانكليزية والفرنسوية والتركية . وتليت القصائد الحسان ومنها قصيدة رئيس محفل نيازي وقصيدة الشاعر المطبوع ولي الدين بك يكن وهما المنشورتان بعدُ . ومما يحسن ذكرهُ ان اثنين خطبا ارتجالاً بالانكليزية احدهما مصري والآخر سوري من مستوطني اميركا فقال سناك بك انهما ادهشاهُ بطلاقة لسانهما وبليغ عبارتهما وقوة عارضتهما في الخطابة . واثنين خطبا بالفرنسوية وهما سوريان وكأن الفرنسوية لغتهما . وخطب يرتو بك بالتركية واثنى الثناء العاطر على الحكومة الانكليزية والامة الانكليزية لانهما ساعدتا العثمانيين في هذا الانقلاب المبارك الذي قوّض اساس الاستبداد ووطد اركان الحرية في الممالك العثمانية وقال صريحاً ان الماسونية كانت المحرك الاول والمرشد الاكبر للجنة الاتحاد والترقي . واظهر الذين تكلموا بالعربية فضل الماسونية في تأليف القلوب بين كل الامم على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم مستشهدين بذلك الاجتماع الذي جمع كثيرين من المصريين والسوريين والانكليز والترك من المسلمين والمسيحيين على اختلاف مذاهبهم وكلهم اخوان تجمعهم رابطة الحرية والاخاء والمساواة

وهاك القصيدتين المشار اليهما آنفاً

يا عصر قد حسدتك اليوم اعصارُ ... الامر شورى وكل الناس احرارُ
تنوّع الخير مرئيًّا ومستمعًا ... فتجتلي الخير استماع وابصار
حسن الليالي من الاحسان ما وهبت ... وربما اعقب الاقلال اكثار
ولو على قدر ما نرضى تجود لنا ... لم يبقَ من سيبها للنير مقدار
في ذمة الله آباء لنا سلفوا ... لم يلقوا الحرب الاّ انهم ساروا
ان لم يكن لهمُ من بعدهم اثر ... الحمد لله انّا نحن آثار
الدار تبكي على اياميهم حزنًا ... ونحن نضحك في ايامنا الدار
ان الجدود التي قد اقصرت معهم ... جدت فليس لها من بعد اقصار
وربما تبلغ الهمات منزلة ... كما تؤمل لولا السيف والنار

الناس تحت قيود الاسر قد وقعوا دهراً ومن ادركوا حرية طاروا

أهلاً بغانية الاطيار داعية لله ماذا دعت في الروض اطيار
استنشديها على افنانها سحراً فلقا تبعث الاشجان اسحار
اذا تهادى بربّاك النسيم ضحى في الروض تعتنق الاشجار اشجار
هل تأمر الغصن يعصي ازاهره ان لم تعش بك اثمار وازهار
هذي الاغاني التي تلقين ساحرة وذي المعاني التي توحين اسحار
تجري السجايا بها في النفس سائغة وتنتدي وهي في الافواه اشعار
تزين تيجان اقوام اذا عدلوا تشين تيجان اقوام اذا جاروا
تظل من بلد تخطو الى بلد مسطردات لها في الكون اسفار
تطوي الفجاج لها طيّاً اذا اطردت كأن اسيافها في الطول اشبار
مضى زمان المجان البزل منقرضاً والبخار كما للبزل ادوار
عاش الرجاء الذي قد كنت اثمره وللرجاء بطول الصبر اثمار
هوى من الافق نجم لم يزر ابداً لما اهابت به صيحات من ثاروا
لم ينظر القدر المحتوم حين دها وكان في كل جزء منه منظار
واستطلع الشرق انواراً به احتجبت دهراً فكم سفه سماه اليوم اقمار

إخواني الصيد لا فلّت لكم همم هذا الشباه الذي تبغون مختار
يبقى تراثاً لقوم يفخرون به اذا توالت على الاحقاب اعصار
ان المعالي لم تنفد عرائسها بل لا يزال بها كالغيد ايكار
تبدي صدوداً فان لانت عرائكها جادت وعاقبة الاعسار ايسار

كنا نمر بانطار فنغبطها وكم اجرت شجون الناس انطار
حتى اذا رجعت للملك نضرته ابدت لنا مصر ما ابدته امصار
هذا الاخاء بنا شدت اواصره نقسّمته قلوب فهو اشطار
يسير من بيج منا الى بيج فينا تقضي الليالي وهو سيار

كالكهرباء اذا الايدي بها اتصلت يساب منها الى الاجسام تيار
ان كان للملك انصار تؤيده بالشرع انّا لهُ بالعقل انصار
نسعى ويسعون والآمال واحدة وان تناءت عن الافكار افكار
ايه بني الشرق ان الشرق ينظركم هذي النجوم التي في الافق انظار
وكلما جاء تموز بوكبهِ فذاك من قبل الايام إنذار
تفترُّ عنهُ الليالي وهي مشرقة كأن ظلماءها للناس انوار
فكم يكتّم عن سر نطالعهُ وتحتوي من خفايا الدهر اسرار
السحر لا تدرك الالباب معجزهُ كذاك تموز للالباب اسحار

***

هشتم ياخاد كلن عنتيا بين القلوب فخان اليوم اظهار
لم يستجدّ ولكنّا نكررهُ وهكذا يستديم الود تكرار
ولي الدين يكن

فتى الاحرار لا تخشَ الصعابا ولا تحسب لنائبة حسابا
وجرد للشدائد سيف عزم يفلُّ جيوشها ظفراً وقابا
وجاهد للفضيلة واغتنمها وكن سيفي جوها الصافي شهابا
وقم بين البرية نور هدي يزحزح عن مساويها النقابا
فان الحر خير الناس نفساً واخلاقاً وارحبهم رحابا
نجود الناس يطرنا طلالاً وجود الحر يسكب انسكابا
وقول العبد يبقي كل ريب وقول الحرّ لا يبقي ارتيابا
ورأي الناس قد يلقى ضلالاً ورأي الحر يهدينا الصوابا
وبالاحرار جل الناس قدراً وبالاحرار مرّ العيش طابا
لبسنا في حمام ثوب عز نعم وزماننا لبس الشبابا
فكم سادوا وكم شادوا فخاراً وكم قد عمّروا بلداً خرابا
وكم وقفوا بوجه الشر سدّاً وكم فتحوا بسد الخير بابا

وكم سيروا لنصر الحق ظلماً ... وكم صبروا وكم عانوا عذابا
فهم فخر الانام بكل مصر ... وفيهم مصرنا ساغت شرابا
عليهم سيد من آل فضل ... حوى كرماً واخلاقاً عذابا
تراهُ اعتاد بسط الكف حتى ... لقد امسى لهُ الاحسان دابا
اقر لهُ الحواضر والبوادي ... ونحو رحابهِ شدوا الركابا
وبين صفوفنا الشهم المفدى ... ومن قد شاد للعليا قبابا
وفينا كل جوّاد خضم ... يباهي جود كفيهِ السحابا
اذا ندبت رجال العصر يوماً ... لدفع ملمة كنا الجوابا
وكنا في موالتنا اسوداً ... اذا ما كانت الاعدا ذئابا
ومن لم يرتدِ العليا شعاراً ... ايبنا ان تكون لهُ مآبا
يعزز دولة الاحرار صفوٌ ... وصدق تضامن شهداً وصابا
اذا اغضبت عبداً في حمام ... رأيت الكل آساداً غضابا
اشارات واسرار وكتب ... قشور كلها ليست لبابا
فذكّر بالتضامن والتآخي ... اذا جئت العشائر والصحابا
وعمم دعوة العلم انتشاراً ... اذا زمت النجاح المستطابا
مصاب الشرق جهل والتقاسم ... وغير العلم لا يشفي المصابا
هلموا نشد الاصلاح فينا ... ونهدئ سبغة معاهدنا انقلابا
نثير بادعياء الدين حرباً ... ونكشف عن ذوي الظلم الحجابا
ونثبت في الجهاد الحق حتى ... نلاقي عند خالقنا الثوابا

نعوم شقير

ولا نظن ان احداً يطالع هاتين القصيدتين الاّ ويرى فيهما روح الماسونية والغرض الذي ترمي اليهِ وهو التعاون على البر والنفع العام. هذا شعار الماسونية وعسى ان تكون سيرة كل اعضائها مطابقة لهذا الغرض النبيل الذي ترمي اليهِ